

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة

لست أكتب تاريخاً لعمر  
ولا أزيد الناس معرفة بعظمته وشأوه..  
ولا أذكر على الله نفسى بالكتابة عن رجل أحبّه الله واصطفاه..  
إن المحاولة التى أنا بصدها، أكثر تواضعاً من هذا كله..  
إنى أصغى إلى أمير المؤمنين، لا أكثر.. وأتطلع إليه، لا أقل..  
وفى دروب التاريخ سنحاول - القراء وأنا - أن نلتقى بالرجل  
الذى لم تُسعدنا المقادير باللقاء معه فى دروب المدينة. حيث  
كانت سجايه وعظمتُه تملأ الزمان والمكان بما لا عين رأت ولا أذن  
سمعت من عدالة الحاكمين، وزهد القادرين، وإخبات الناسكين،  
وقوة الودعاء الراحمين، ووداعة الأقوياء المتقين!!  
أجل؛ هذا ما نحاول فى هذه الصفحات بلوغه.. أن نعيش  
لحظات فى رحاب عمر، ونأخذ من المشهد المكتوب عوضاً ما فاتنا

من المشهد الحى. وتلقى السمع والبصر والفؤاد بين يدي هذا القوى  
الأمين. والمعلم الذى ليس له بين المعلمين نظير، ونقضى فى  
معيته لحظات ترفع من قدر حياتنا.

\*\*\*

و«معيّة» أمير المؤمنين، ليست مثل «معيّات» غيره من الأمراء،  
والحاكمين.

إنها شيء مختلف جداً.. فلا مكان فيها لأطايب الطعام، ومَناعم  
الشراب، ومباهج الحياة.. لا مكان للفُرُش المرفوعة، ولا للأكواب  
الموضوعة، ولا للنمارق المصفوفة، ولا للزُّرابى المبتوثة.  
لا مكان للراحة.. لا مكان للزُّهو.. لا مكان للزُّلفى..

من أجل هذا، كان الاقتراب من هذه «المعيّة» رهيباً، بقدر ما  
هو حبيب إلى النفس، وبقدر ما يُقضى إليه من شرف عظيم.  
و«عمر» من الطراز الذى تغمرك وأنت تقرأ تاريخه المكتوب كل  
الهيبة التى تغمرك وأنت تجالس ذاته وشخصه.

والمشهد المسطور من تاريخه، لا يكاد يختلف عن المشهد  
الحى إلا فى غياب البطل عن حاسة البصر..

أجل.. عن حاسة البصر وحدها.. أما الأفئدة.. أما البصيرة،  
فتحسّ وهى تطالع سيرة عمر أنها تُعايشه، وتجالسه، وترى  
رأى العين جلال الأعمال، ومَناسك البطولات التى يتناولها بيد  
أستاذ عظيم، جدّ عظيم..

\*\*\*

ولكن على الرغم مما تفرضه صحبة «عمر» من حرمان وشظف..  
فليس على ظهر الأرض بهجة، ولا متعة، ولا نعمة تفوق مباحج  
ومناعم هذه الصحبة بحال..!

فالرجل الكبير فى بساطة، البسيط فى قوة، القوى فى عدل ورحمة  
لا يستريح ولا يترك الذين معه يستريحون، ولكنه يمنحهم بدلا  
من الراحة المفقودة، أعظم ما فى الحياة من سؤدد، وغبطة، وتفوق.  
هذا هو أمير المؤمنين، الرجل الذى أنجبته البشرية ورباه  
الإسلام.

هذا هو الحاكم المؤمن الذى إذا ذكر رؤساء الدول والحكومات  
منذ فجر التاريخ الإنسانى إلى يوم الناس هذا، كان أعظمهم،  
وأبرهم، وأزكاهم - من غير مبالغة - أية مبالغة!!  
هذا هو الناسك الذى تفجر نُسكه حركة، وذكاء... وعملا..  
وبناء..

هذا هو المعلم الذى صحح مفاهيم الحياة، وأفرغ عليها نوراً من  
روحه، وكساها عظمة من سلوكه، وكان للمتقين إماماً!!..

\*\*\*

تُرى ماذا يذكر التاريخ اليوم من نبئه العظيم، وبم يلهج الناس  
من سيرته الفاضلة؟؟  
هل يذكرون فتوحاته على كثرتها؟؟... هل يذكرون انتصاراته  
على روعتها??..

إن سلوك أمير المؤمنين، يشغل التاريخ ويشغل الناس عن كل شيء سواه.

• ودائمًا، وأبدًا، تُطلّ على الحياة صورة ذلك الإنسان الإلهي الذي يجري في وقت الحر القاتل وراء بعير من أموال الأمة مخافة أن يندّ ويضيع، فيحاسبه الله حسابًا عسيرًا!!

• أو الذي يصطحب زوجته في الهزيع الأخير من الليل حاملا على كتفيه وفي يديه جراب دقيق، وقربة الماء، ووعاء السمّن، حيث تتولى زوجته أمر سيدة غريبة أدركها المخاض وحيث يجلس هو خارج الكوخ يُنضج لها طعام الوالدات!

• أو الذي يتأخر عن خطبة الجمعة، ثم يجيء مهرولا في بُردة بها إحدى وعشرون رقعة، تحتها قميص لم يجف بعد من البلل، ثم لا يكاد يصعد المنبر حتى يعتذر للناس عن تأخره فيقول: «حَبَسَنِي عَنْكُمْ قَمِيصِي هَذَا.. كُنْتُ أَنْتَظِرُهُ حَتَّى يَجْفَ، إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَمِيصَ غَيْرِهِ..!!».

• أو الذي يستقبل هدية من الحلوى أرسلها إليه عامله على أنزبيجان فيسأل الرسول الذي جاء بها: «أَوْ كُلُّ النَّاسِ هُنَاكَ يَأْكُلُونَ هَذَا.. فَيَجِيبُهُ الرَّجُلُ قَائِلًا: كَلَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّهَا طَعَامُ الصَّفْوَةِ!! فَيُخْتَلَجُ عَمْرٌ وَيَقُولُ لِلرَّجُلِ: «أَيْنَ بَعِيرِكَ.. أَحْمَلْ هَدِيَّتَكَ وَارْجِعْ بِهَا إِلَى صَاحِبِهَا وَقُلْ لَهُ: عَمْرٌ يَأْمُرُكَ أَلَّا تُشْبِعَ مِنْ طَعَامٍ حَتَّى يَشْبِعَ مِنْهُ قَبْلَكَ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ..!!».

\*\*\*

هذا هو عمر في ذاكرة التاريخ، وفي ضمير البشرية.  
هذا هو منارة الله في الدنيا، وهديته إلى الحياة.  
وعلى مائدته الخالية من أطيب الطعام، الحافلة بأطيب  
العظمة، سنقضى أسعد وأرغد لحظات حياتنا!!!..

خالد محمد خالد

